ب. حادثة عين الرمانة :

في يوم الاحد ١٣ نيسان ١٩٧٥ جاء اليوم المشؤوم عندما وقعت حادثة عين الرمانة[١] بينما كان الزعيم الكتائبي بيار جميل يفتتح يوم عيد الفصح احدى الكنائس في القسم المسيحي من بيروت ، اطلق مجهولون النار على المجتمعين في هذا الاحتفال وكعملية ثأر هاجم رجال مسلحون من الكتائب بعد مدة قليلة حافلة تقل فلسطينيين عند مرورها بالقرب من مكان الحادث فقتلوا سبعة وعشرين راكباً فيها [٢]، وفي هذا اليوم اندلع اول فتيل للازمة من منطقة عين الرمانة عندما حطمت الطلقات الكتائبية الحافلة الفلسطينية فكانت الشرارة التي اشعلت الحرب ، وانقلبت بيروت في شهور قليلة من مدينة نابضة بالحياة الفارهة الى مدينة الاشباح والاموات [٣]، كان طبيعياً ان تصبح واقعة عين الرمانة القضية الرئيسة في السياسات اللبنانية فقد زعم التقدميون انها جزء من مؤامرة دولية لتصفية المقاومة الفلسطينية ووضع اخرون اللائمة على المخابرات الامريكية ، والبعض الاخر على الصهاينة ، وهناك فئة قليلة اعلنت ان المذبحة جرت بالتواطؤ مع الرئيس فرنجية[٤]، وتعتبر هذه المجزرة الشرارة التي فجرت اعنف ازمة في تاريخ لبنان[٥] واصبحت المدينة مغيبة وعاجزة تماماً عن أية مقاومة للوجود الفلسطيني المسلح وساد انفلات الوضع الامني والفوضى في كل مكان وعمت ظاهرة المليشيات المسلحة في كل الفئات والطوائف اللبنانية ، بعضه يدعم الحضور الفلسطيني المسلح ويستفيد منه في حربه ضد الدولة ، والبعض الاخر يحاربه مستعيناً بما تبقى من رموز الشرعية ومؤسساتها او بحجة الدفاع عن الدولة

---

(١) عين الرمانة: احد الاحياء المسيحية ببيروت وقع فيها حادثة قتل حافلة الركاب الفلسطينيين ويسكنها أغلبية مسيحية

(٢) يورغن كابل كولبل ، اغتيال الحريري ادلة مخيفة ، ترجمة هاني صالح وكامل اسماعيل ، دار الراي للنشر ، بيروت ٢٠٠٦ ، ص٦٣ .

(٣) حرب لبنان ، حصار بيروت – حرب الجبل، مقتطفات من الصحف ووكالات الانباء العالمية ، المكتبة الحديثة للنشر ، بيروت ٢٠٠٥ ، ص ص٧-١١٧.

(٤) ديفد جيلمور ، المصدر السابق ، ص٢٤٦.

(٥) سليم الحص ، زمن الامل والخيبة تجارب الحكم في لبنان ما بين ١٩٧٦ و ١٩٨٠ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٢ ، ص٢٥.

والنظام[١].

بدت مجزرة عين الرمانة للعيون الوطنية وكأنها امتداد كمي للاحتكاك التقليدي بين قوى اليمين والفلسطينيين ، وبمعزل عما يمكن ان تصل اليه المضاعفات بعد مدة وجيزة من انفجار طائفي – اجتماعي شامل بطول البلاد وعرضها.[٢]

واكدت القوى اليمينية براءتها من قضية اطلاق النار على الحافلة في عين الرمانة ، بينما دعا اليسار اللبناني الى محاكمة عناصر حزب الكتائب وطالب تسليم المسؤولين عن اطلاق النار على الحافلة الى القضاء اللبناني. [٣]

ثانيا: الاسباب الخارجية للحرب الاهلية

في اغلب الاحيان تتأثر الدول الصغيرة بالقوى الخارجية خاصة عندما تكون اوضاعها الداخلية غير متماسكة وضعيفة ، ولايخرج لبنان عن هذه القاعدة، ويُعد لبنان البلد العربي الوحيد الذي يرفض الذوبان في محيطه العربي والتمسك بالبقاء في كيان محايد[٤] فيما يؤكد الانقسام الداخلي موقف فئة ترفض الوحدة العربية لاسباب سياسية وطائفية هذا من جانب ، و هناك ترابط اقتصادي واجتماعي بين بعض السكان اللبنانيين والسوريين لا يمكن اهماله اذا استمرت العلاقات الاقتصادية بين البلدين في اكثر من مجال بالرغم من تدهور الوحدة الاقتصادية بينهما في الخمسينيات، وأدت حرية الصحافة التي انتشرت بكثافة دوراً بارزاً في التعبير عن مدى العلاقة بين الاحزاب، فاصبح لبنان ساحة للتحالف بين الانظمة العربية وانقسم الشارع الاسلامي الذي كانت غالبيته تؤيد القضية الفلسطينية الى مؤيد ومعارض للتيارات والمنظمات التي تؤيد القضية العربية.[٥]

كما بدأت تظهر علناً معادات المسيحيين وخاصة الطائفة الماورنية للعروبة او يرفضون انتمائهم لها، وبعد نكبة حزيران ١٩٦٧ ازداد الانقسام بين التيار العروبي والتيار المعادي له فاثارت ردة فعل متناقضة لدى الطرفين وعبر قسم من اللبنانيين عن دعمهم

---

(١) جوزيف ابو خليل ، قصة الموارنة في الحرب ، شركة المطبوعات للتوزيع ، بيروت ١٩٩٠ ، ص٢٨ .

(٢) شكري ، عرس الدم في لبنان، ص١٣٢ .

(٣) حسن محمد حسن ، المصدر السابق ، ص٢٠ .

(٤) نواف سلام، اتفاق الطائف (استعادة نقدية)، بيروت ٢٠٠٣، ص٨.

(٥) الجميلي ، المصدر السابق ، ص١٨٠ .

للقضية الفلسطينية من خلال الاضرابات التي تصدت لها الحكومة بقسوة.وعندما بدأت حركة المقاومة الفلسطينية تنمي ارتباطها بالفئات الشعبية والاحزاب التقدمية باعتبارها تمثل الخط الاول لمواجهة الهزيمة في حرب ١٩٦٧ ، تلقى الوجود الفلسطيني المسلح انقساماً في مواقف الزعماء اللبنانيين والفئات الاخرى بين مؤيد ومعارض له. (١)

اصبحت الساحة اللبنانية مسرحاً للتدخلات الخارجية عندما توسعت دائرة الخلافات الداخلية فتدخل الرئيس المصري جمال عبد الناصر لايجاد تسوية سياسية عندما قدم رئيس الحكومة رشيد كرامي استقالته فاجريت مفاوضات بين الفلسطينيين والسلطة اللبنانية اسفرت عن التوصل الى اتفاق القاهرة عام ١٩٦٩(٢) الذي اعطى المقاومة الفلسطينية حقاً شرعياً لممارسة حقوقها على المحميات الفلسطينية في لبنان(٣)، كما أعطى أتفاق القاهرة الموقع بين منظمة التحرير الفلسطينية والجيش اللبناني مقاتلي المنظمة حرية أكبر في أنطلاق هجماتها ضد إسرائيل من الحدود اللبنانية وسمح للمقاومة الفلسطينية الانطلاق من الجنوب اللبناني التي أصبحت تعرف اراضي فتح (فتح لاند)(٤).

اعطى هذا الحق للفلسطينيين دوراً عندما سمحت لهم الحكومة اللبنانية باستعمال كافة الاسلحة لشن هجمات على اراضي العدو الاسرائيلي(٥)، وامام تنامي قوة الاحزاب الوطنية والتقدمية المتحالفة مع الفلسطينيين اتخذت الاحزاب القومية اللبناني (المسيحية) اجراءاتها في تدريب مقاتلين على السلاح لتكون قادرة على مواجهة هذه الكتلة الجديدة(٦)، إذ جعلت هذه الاجراءات من الوسط الشعبي اللبناني بغالبيته منضوياً تحت احزاب ومنظمات سياسية وفدائية مختلفة كونت ظاهرة حمل السلاح التي هددت بالتصادم في أية لحظة بين مختلف المناطق.وخلال وجودها المكثف اصبحت المقاومة الفلسطينية من القوى السياسية والعسكرية

---

(١) عبد الله الامين ، لماذا لبنان ؟ ،دار المسيرة ، بيروت ١٩٨٠ ، ص٩-١١ .

(٢) اتفاق القاهرة: عقد برعاية الرئيس المصري جمال عبد الناصر وبين قائد الجيش اللبناني امين البستاني ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات لوضع حد للتوتر القائم بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية واقر مجلس النواب اللبناني هذا الاتفاق دون الاطلاع على نصوصه نتيجة الضغط العربي المساند للقضية الفلسطينية واتخذت اسرائيل هذا الاتفاق حجة لقيامها بهجمات على لبنان لردع الفلسطينيين . للاطلاع على نصوص الاتفاق ينظر: منصور المصدر السابق ، ص ص١٧٩- ١٨١.

(٣) الامين ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

(٤) أمين مصطفى، المقاومة في لبنان ١٩٤٨ . ٢٠٠٠، دار الهادي ، بيروت ٢٠٠٣، ص ص٥٧٢. ٥٧٤.

(٥) مجلة دراسات عربية ، العدد ١١ ، السنة ١١ ، ١٩٧٥ ، ص١٩ .

(٦) حزب الكتائب اللبنانية ، القوى النظامية الكتائبية ، مطابع عبد ، بيروت ١٩٨٦ ، ص٣٤٠ .

الفاعلة في الساحة اللبنانية في كثير من الاوقات دخلت طرفاً في السياسة اللبنانية لتحالفها مع العديد من القوى السياسية من جهات اسلامية او احزاب يسارية تقدمية.[١] وعزز الدور الاردني الذي تدعمه بعض القوى العربية والدولية في التصدي للمقاومة الفلسطينية عندما شنت حملة تصفية شاملة ضد الوجود الفلسطيني على اراضيه مقابل التفاوض في اعادة الضفة الغربية حسب وعود اسرائيل للملك حسين في القضاء على الوجود العسكري و التنظيمي للمقاومة[٢] ،وفي شهر ايلول عام ١٩٧٠ نفذت القوات الاردنية مجزرة بحق الفلسطينيين سميت بمجزرة (ايلول الاسود) [٣] التي وضعت حدا نهائياً من خلال القيام بعمليات فدائية انطلاقاً من الاردن .ومن خلال اراء بعض المؤرخين ان الدافع الحقيقي وراء تنفيذ هذه المجزرة هو النشاط الذي ابدته المقاومة الفلسطينية في ضرب المصالح الامريكية والاسرائيلية والمتعاونين معهم من خلال حملة خطف الطائرات في بداية ايلول ١٩٧٠ التي اذهلت الدول المعنية[٤] واصدر الملك حسين أوامره لجيشه للقضاء على الفلسطنين واستعرت نار معركة كبرى امتدت الى الشمال الاردني ، حيث تجمعات الفلسطينية حول مدينة اربد، وارسلت الولايات المتحدة مبعوثها الى الملك ليبلغه انها راضية عن جهوده والاسراع بطلب مايحتاج اليه من عون[٥]،ويظهر ان التخطيط لهذه المؤامرة هو من صنع الولايات المتحدة واسرائيل لتصفية ظاهرة الكفاح المسلح الذي بدأ يضايق العدو الصهيوني في هذه المدة لذلك اصبح الاردن الارض الخصبة لتنفيذ هذا المخطط الصهيوني، ادت هذه العمليات العسكرية للجيش الاردني الى هجرت اعداد غفيره من الفلسطنيين الى لبنان، وتشير المصادر إلى أن

---

(١) باسم سرحان ، العامل الفلسطيني في الحرب الاهلية ، بيروت ٢٠٠٠ ، ص٧ .

(٢) مجلة افاق عربية ، العدد الثالث ، السنة الثانية ، تشرين الثاني ، ١٩٧٦ .

(٣) ايلول الاسود : الاسم الذي يشار الى ايلول عام ١٩٧٠ عندما تحرك الجيش الاردني بامر من الملك حسين لوضع نهاية للوجود الفلسطيني في الاردن عندما ارادت المنظمة اجراء تغيير الحكم في المملكة ، وحدثت مجازر كبيرة للفلسطينيين في مناطق الزرقاء وعمان والجنوب واربد وعجلون وانتهت المعارك في ٢٨ ايلول بقرار من اللجنة العربية التي رتبت اخلاء المدن من الجيش و المقاومة ووضعت اتفاقية تفصيلية لتنظيم اصول التعايش بيم المقاومة والنظام عرفت ببروتوكول عمان في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٠.ينظر: خليل هندي فؤاد وشحاده موسى ، دراسة تحليلة لهجمة ايلول ، منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٧١ ،ص ص١٥٣ – ٤٨.

(٤) تيودور هانف، لبنان تعايش في زمن الحرب من أنهيار الدولة إلى انبعاث الأمة، ترجمة: موريس صليبيا، مركز الدراسات العربي الأوروبي، باريس١٩٩٣ ، ص٢١٧.

(٥) هنري كيسنجر ، مذكرات ، ترجمة عاطف احمد عمران ، ج١، الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان ٢٠٠٥، ص٥٥١.

الوجود الفلسطيني عشية الحرب الأهلية كان بلغ ما يقارب اربعمائة الف نسمة وتجاوز هذا العدد عام ١٩٧٦ إلى أكثر من اربعمائة وستة عشر الف نسمة أي ما يوازي نسبة ١٢% من سكان لبنان. [١] وتشكل عملية توزيع الفلسطينين في المدن اللبنانية الرئيسة ، والاندماج مع السكان اللبنانيين أحدى العوامل الرئيسة للحرب الاهلية اللبنانية، فكان الثقل الفلسطيني عنصراً مضافاً إلى خانة التوازن الطائفي في لبنان بمجالاته المختلفة.[٢]

عندما اصدر مجلس الامن قراره المرقم ٢٤٢ في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ الذي يقضي بالانسحاب الاسرائيلي من الاراضي الفلسطينية قبلت بعض الاقطار العربية بهذه الصيغة وبدأت تقدم الدعم السياسي والمادي للقوى اليمينية ، وهناك دول اخرى تقدم الدعم للفصائل التقدمية في المقاومة الرافضة لمبادرة السلام مع اسرائيل ومقابل التأييد الشعبي الواسع كحركة المقاومة الفلسطينية في الشارع الاسلامي والتقدمي هناك تزايد الرفض العروبي ورفض الاصلاح السياسي من قبل الشارع المسيحي[٣]وشلت قدرة الدولة اللبنانية بين عامي ١٩٦٩ و١٩٧٥ وحدث أضطراب وتشويش في عمليات صناعة قرارها واصبحت خلافات اللبنانيين قنوات تستغلها المقاومة الفلسطينية لتسريب نفوذها من خلالها على اليسار اللبناني والمسلمين وهو ما يتيح لهم الحصول على امتيازات من قبل الدولة اللبنانية فضلاً عن تأميم أرضية مناسبة لمشاريعها في التدخل والهيمنة على البلادوكان لتهجير الفلسطينيين من الاردن الى لبنان اثره البالغ في زيادة الاحتقان الطائفي[٤].

واثر تفاعل العوامل الداخلية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مع وجود المقاومة الفلسطينية والضغط الخارجي اوجدت ارضية خصبة ومناسبة للانفجار في يوم ١٣ نيسان١٩٧٥.

---

(١) سمير محمد عبد الرحيم ايوب، البناء الطبقي للفلسطينين في لبنان ، جامعة بيروت العربية، بيروت ١٩٧٨، ص ص١٥٣. ١٥٤.

(٢) سليمان تقي الدين، المصدر السابق، ص٣٩٥.

(٣) خليل احمد خليل ، اتجاهات في حل الازمة اللبنانية ، بحث منشور في مجلة دراسات عربية ، العدد ٤ ، السنة الثانية عشر ، ١٩٧٦ ، ص١٧-٢٦ .

(٤) نواف سلام، اتفاق الطائف . استعادة نقدية، بيروت ٢٠٠٣، ص٨.